يوم زفافي، يوم أسود..!!

«أول القصيدة كـ.....» ،أسمع ترديد تلك الكلمات تخرج من أفواهكم الكريمة وأنتم تُطالعون العنوان، الكلمات طلقات ناريّة تُصوب عليَّ وكأنّني ارتكبت جرماً لتصريحي هذا،"من هذا المعتوه الذي يخرج علينا بغير المألوف، يوم زفافه يوم أسود!!»...

عودوا معي نسترجع شريط ذكرياتي هذا اليوم الصّعب.صباح يوم ١٩٨٧/٧/٨م، وقفتُ مع أفراد أسرتي بمندرة العائلة نتشاور في الأمر، الأصوات تجأر، وكأنها تتصارع . الأمر جلل..!!

- ليس هناك وقت.. ما الحل..؟!

- طيب نؤجل الفرح..!!

- الموضوع هينفضح..!!

- ده مش حلّ... نقول للناس إيه؟!

أحسستُ بِحيرة تخيّم على كلّ أفراد عائلتي. نطقت والدتي:

- يا جماعة لازم نجِد حلاً وإلاّ سنكون لبانة في أفواه الجميع.....

مقاطعة من والدي:

- وجدتها..!!

تعلّقت أبصارنا جميعاً بوالدي الذي تهلّل وجهه بالبشر. وبعد أن جلس على الأريكية التي كانت في الأصل (نورج) جدي، تنفّس بعمقٍ، واستطرد وهو يوزّع علينا كلماته، ينقّطها حرفاً حرفاً:

- ليس.. أمامنا.. إلاّ.. شوقي.. ولد المزيّن فضلان..هو ولد « عايق» وأكيد سيحلّ لنا الموضوع قبل ما الفأس تقع في الرأس..!!

قاطعه أخي الأكبر ملوّحاً بيده، وكأنه يحلف بأغلظ الإيمان:

- لأ.. لأ.. ده ولد غتت» و»متنسون» زي بقية ناسه، أبداً ما يدخل البيت، على رقبتي، البيوت لها حُرمة..!!

ثم ولّى وجهه كالحاً.. فهدأ صوت أبي لجبر خاطر أخي:

- يا بنيّ العوذةعوَّاذة، لن يخرجنا من هذا المأزق إلاّ هذا «المدعوك»...

- سيُجرسنا في النجع يا والدي...

- إن شاء الله تتستر...

ثمّ رمقني والدي ، يلومني ويحمّلني مسؤوليّة ما وصلنا إليه:

- جهلك... هو الذي أدخلنا في حارة سد، وعامل فيها «السبع آدم»...؟!!
طأطأت رأسي وصمتت كلّ جوارحي... هدأت حدّة صوت أبي معي، وقال:
- يأتي شوقي من الباب الخلفيّ للمنزل، عندما تحلّ القيلولة على النجع، ويدخل معك غرفتك، ويفعلها لك، بدل «الجُرس».. لحد ما الليلة تعدي..
قلتُ متذمّراً:
- هو كلب فلوس يا والدي.....
- معليش بس نتستروسط مخاليق ربنا...
وعندما اشتدّ لهيب الشمس، لمحتُ أخي يدخل أمام «شوقي ابن المزيّن»، يتحسّس الطريق، كنتُ وأبي وأمي في غرفتي، خرجت أمي؛ لأن وجودها لا يصحّ أبداً. اقترب أبي من «شوقي ابن المزيّن» يؤكد عليه:
- وجودك في بيتنا عيب كبير، قد يعيّرنا الناس بك..افعلها سريعاً واخرج كما أتيت..
هزّ شوقي رأسه وقال بصوته «المسرسع» مستغلاً الموقف:
- ورقة بخمسة، ما تنقص قرش..!
تلعثم والدي ولم ينطق بكلمة، لكنّ أخي الأكبر مسك بياقة قميص شوقي متوعداً :
- أنت هتبيع فينا وتشتري يا ردي يا ابن الردي..!!
تخلّص شوقي من قبضة أخي، وقال بصوتٍ استفزازيّ بارد:
- بلاااااش...اعملها أنت لو تعرف..!!
فبصق عليه أخي، فنهره أبي:
- عيب يا ابني.. الجدع في بيتنا.. إحنا موافقين يا شوقي يلا شوف شغلك..
خرج الجميع من الغرفة، وظللتُ مع شوقي بمفردنا، كنتُ أتهيّب الموقف، لأنّني لم أفعلها من قبل، ولم تكن من عاداتي..
قال شوقي وهو يتأكّد من ترباس غرفتي:
- اقلع..
اقشعر بدني.خلعتُ كلّ ما عليَّ من أردية؛ ووقفت أمامه «بلبوصاً» لا يسترني إلاّ «لباساً» من « تيل نادية «.. قال شوقي ونظراته المريبة تُرعبني:
- سنجرّبها على اللّحم، ونفكّها برفقٍ وهي مربوطة، ثم نجعلها في غرفتك بعيداً عن ربكة الفرح، وما عليك إلاّ أن تضعها في عنقك وتشده قليلاً نحو رقبتك... والسلام..

تجرأت وسألته:
- وإيه قولك لو نفك رباط تلك «الكرافتة» الحمراء ؟!!
- تبقى ليلة سوداء عليكم، وبيضاء عليَّ...
- لم أفهم..
- سوداء عليكم وبيضاء عليَّ لأنّكم ستدفعون لي حتة بخمسة ثانية لأربطها لكم...!!
- ياساتر، طالع واكل، نازل واكل..!!
ابتسم شوقي ونظر إليّ ،ثم نظر إلي «الكرافتة» المعلقة بالمسمار. قال ناصحاً:
- أن تلبسها بالخطأ، أو تُفك منك كلّ مرّة ستكلّفكم أكثر..!!
ارتديت ملابس الفرح وجعلتُ «الكرافتة» آخر ما سأرتدي؛ تجنّباً لأيّ خطأ غير محسوب..

غبت عن غرفتي ساعة... نسيتُ أن أعرفكم بأنّ منزلنا الكبيركان يضمّ العائلة كلّها بما فيهم زوجة عمي (حماتي) وعمي(حماي) وابنتهم الوحيدة رضوى.. ولما قرّرت أن أرتدي «الكرافتة» لأنزل لمقابلة المعازيم، حدثت الكارثة، فص ملح وذابت، «الكرافتة»الحمراء اختفت..
- يا دي الليلة (الكوبيه)!! قالها الجميع.

ارتبكت أمي، وزمجر أبي، وأخي الأكبر اتّهم شوقي بسرقتها؛ ليخرب الفرح (ابن الفرطوس)، تزاحمت المعازيم، وضجّ فناء منزلنا بأصوات الأعيرة الناريّة، وصدحت أغنية « قولوا لأبوها إن كان جعان يتعشى...!
ومرّت ليلة الدخلة بسلام.. لكن اللّغز الغامض الذي حيَّرالجميع هو، أين ذهبت «الكرافتة» الحمراء؟؟!!
ولمّا أحضرت حماتي (الصباحية) لزوجتي، حدثت الكارثة التي ألجمت الجميع... ضرب أبي كفّاً بكفٍ..
وزامت أمي في غيظٍ..
أما أخي الأكبر فكاد يطق من (جنابه)..

زغردت زوجة عمّي وهي تحمل (كارتونة) المخبوزات.. الناعمة والغريبة.. الكارتونة مربوطة بحبل غريب.. لونه أحمر..

فهمنا فيما بعد من زوجة عمّي.. أن (حمارها غلب) ليلة الدخلة.. في أن تجد حبلاً يليق بكارتونة مخبوزات العرائس.. لم تجد إلاّ هذا الحبل الجميل المعلّق في غرفتي.. الذي أغراها بلونه الأحمر. الحبل هو نفسه الكرافتة الحمراء..!!»